

آية من كتاب الله عز وجل

«وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ»

الإسلام لا يقاوم
رغبة المرأة الفطرية
في التزين ولكن
ينظمها ويضبطها

أذنهن، فلما أمر الله النساء أن يضرين بخمرهن على جيوبهن، ولا يبدین زینتهن إلا ما ظهر منها، كن كما قالت عائشة رضي الله عنها: «يرحم الله نساء المهاجرات الأول، لما أنزل الله: «وليضرن بخمرهن على جيوبهن» شققن مروطين فاختصرن بها.. وعن صفية بنت شيبة قالت: «بينما نحن عند عائشة، قالت: فذكرن نساء قريش وفصلن، فقالت عائشة رضي الله عنها إن نساء قريش لفضل.. وإني والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار، واشد تصديقا لكتاب الله، ولا إيمانا بالأنزِيل، لما نزلت في سورة النور: «وليضرن بخمرهن على جيوبهن» انقلب رجالهن لين يكتون عليهن ما أنزل الله إليهن فيها، وبتلو الرجل على امراته وابنته وأخته، وعلى كل ذي قرابته، فما عتجرت به تصديقا وإيمانا بما أنزل الله من كتابه، فاصبحن وراء رسول الله (صلى الله عليه وسلم) معتجرات كان على رؤوسهن الغربان».

لقد رفع الإسلام ذوق المجتمع الإسلامي، وظهر إحساسه بالجمال، فلم يعد الطابع الحيواني للجمال هو المستحب، بل الطابع الإنساني الملهب.. وجمال الكشف الجسدي جمال حيواني يهفو إليه الإنسان بحس الحيوان، مهما يكن من التناقض والاكتمال. فاما جمال الحشمة فهو الجمال المتكليف، الذي يرفع الذوق الجمالي، ويجعله لائقا بالإنسان، ويضبطه بالنظافة والطهارة في الحس والخيال.

جاءت هذه الآية بعد حث المؤمنين على غض البصر حيث طالبت المؤمنات ألا يرسلن بنظرانهن الجانحة المتلصصة، أو الهاتفة الخفية، التي تستثير كوامن الفتنة في صدور الرجال ولا يبدنن فروجهن إلا في حلال طيب، يلبي داعي الفطرة في جو نظيف، لا يشجل الأطفال الذين يجيئون عن طريقه عن مواجهة المجتمع والحياء «ولا يبدنن زينتهن إلا ما ظهر منها».

والزينة حلال للمرأة، تلبية لفطرتها. فكل أنثى مولعة بأن تكون جميلة، وأن تبدو جميلة. والزينة تختلف من عصر إلى عصر، ولكن أساسها في الفطرة واحد، هو الرغبة في تحصيل الجمال أو استكماله، وتجليته للرجال.

والإسلام لا يقاوم هذه الرغبة الفطرية، ولكنه ينظمها ويضبطها، ويجعلها تتطور في الاتجاه بها إلى رجل واحد - هو شريك الحياة - يطلع منها على ما لا يطلع أحد سوا، ويشترك معه في الاطلاع على بعضها، والحرام والذكورون في الآية بعد، ممن لا يغير شهواتهم ذلك الاطلاع.

فاما ما ظهر من الزينة في الوجه واليدين، فيجوز كشفه، لأن كشف الوجه واليدين مباح لقوله (صلى الله عليه وسلم) لأسماء بنت أبي بكر: «يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض، لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وإشار إلى وجهه وكفيه».

«وليضرن بخمرهن على جيوبهن» والجيب فتحة الصدر في اللب، والخمار غطاء الرأس والنحر الصدر. ليداري مفاتنهن، فلا يعرضها للعيون الجائعة، ولا حتى لنظرة الفجاءة، التي يتقي المتقون أن يطلوها أو يعاودوها، ولكنها قد تترك كسبا في أطوائهم بعد وقوعها على تلك المفاتن لو تركت مكشوفة!

إن الله لا يريد أن يعرض القلوب للنجاسة والابتلاء في هذا النوع من البلاء!

والمؤمنات اللواتي تلقين هذا الشيء وقلوبهن مشرقة بنور الله، لم يتمكن في الطاعة، على الرغم من رغبتهن الفطرية في الظهور بالزينة والجمال. وقد كانت المرأة في الجاهلية - كما هي اليوم في المعاملة الحديثة! - تمر بين الرجال سفحة بصدورها لا يواريه شيء، وربما أظهرت عنقها وذوائب شعرها، وأفرقة

لأفعدن لهم صراطك المستقيم لم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن إيمانهم وعن شملهم ولا تجد أكثرهم شاكرين». هذا الغليان الشيطاني هو الذي يضطرم في نفس الحاقدين ويفسد قلوبهم وقد احاب الإسلام بالناس أن يبتعدوا عن هذا المكر وأن يسلكوا في الحياة نهجا أرقى وأهدا.

عن أنس بن مالك قال: كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة فطلع رجل من الأنصار تنظف لحيته عن وضوئه قد علق نعليه بيده الشمال فلما كان الغد قال النبي مثل ذلك فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى فلما كان اليوم الثالث قال النبي مثل مقالته أيضا فطلع ذلك الرجل على مثال حاله الأولى.

فلما قام النبي قام عبدالله بن عمر وتبع الرجل فقال: إني لا حيت أبي قاسمت إلا ادخل عليه ثلاثا فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي ففعلت! قال: نعم. قال أنس: فكان عبدالله تحدث أنه بات معه تلك الثالث الليالي فلم يره يقوم من الليل شيئا غير أنه إذا تعارتك في فراشه ذكر الله عز وجل حتى ينهض لصلاة الفجر قال عبدالله:

غير أني لم اسمعه يقول إلا خيرا، فلما مضت الليالي الثلاث وكنت احتقر عمله قلت: يا عبدالله لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجرة، ولكني سمعت رسول الله يقول لك ثلاث مرات: يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة فطلعت أثث الثلاث المرات فارتدت أن أوي إليك، فانظروا ما عملك فافتدي بك فلم أرك عملت كبير عمل! فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله؟ قال: ما هو إلا ما رأيت قال عبدالله فلما وليت دعائي قال: ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشا ولا أحسد أحدا على خير أعطاه الله إياه. فقال عبدالله: هذه التي بلغت بك، وفي رواية: «ما هو إلا ما رأيت يا ابن أخي إلا أني لم أبت ضائعا على مسلم».



صاحب الصدر السليم يأسي لآلام العباد ويشتهي لهم العافية
ولا يتلهى بسرود فضائهم
نقاء القلب فضيلة تجعل المسلم لا يربط بين حظه من الحياة
ومشاعره مع الناس

فتنظر إلى الأمور من خلال الصالح العام لا من خلال شوائه الخاصة. وجمهور الحاقدين تغلي مراحيل الحقد في أنفسهم لأنهم ينظرون إلى الدنيا فيجدون ما يتمنونه لأنفسهم قد قاتهم وامتلأت به أكف أخرى وهذه هي الطامة التي لا تدع لهم قرارا، وقديما رأى إيليس أن الخطوة التي يستهيها قد ذهبت إلى هو لم يربح ثم إن المسلم يجب أن يكون أوسع فكرة وأكثر عاطفة

التشقي من الخلق وانتظار عثراتهم والشامة في آلامهم وسلامة الصدر فضيلة تجعل المسلم لا يربط بين حظه من الحياة ومشاعره مع الناس ذلك أنه ربما فشل حيث نجح غيره وربما تخلف حيث سبق آخرون. ومن الغباء أو من الوضاعة أن تنقوي الأثرة بالمرء فتجعلها تمنى الخسار لكل إنسان لا شيء إلا لأنه هو لم يربح ثم إن المسلم يجب أن يكون أوسع فكرة وأكثر عاطفة

سوودة. وكثيرا ما يكون متعوج العورات لفضحها أنشراحا، وأبعد عن الله قلوبا من أصحاب السيئات المكتشفة فإن التريص بالجريمة لنشرها أقيح من وقوع الجريمة نفسها. وشتان بين شعورين شعور الغيرة على حرمان الله والرغبة في حمايتها وشعور البغضاء لعباد الله والرغبة في إذلالهم إن الشعور الأول قد يصل في صاحبه إلى القعة ومع ذلك فهو أبعد ما يكون عن

لا يجوز لمسلم أن يتشفي بالتشعيب على مسلم ولو ذكره بما فيه فصاحب الصدر السليم يأسى لآلام العباد ويشتهي لهم العافية. أما التلثي بسرده الفضائح وكشف المستور، وإبداء العورات، فليس مسلك المسلم الحق. ومن لم حرم الإسلام الغيبة، إذ هي متشفس حقد مكتوم وصدر فقير إلى الرحمة والصفاء. عن أبي هريرة أن رسول الله قال: «أترون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم! قال ذكره أخاك بما يكره قيل: أرايت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته ومن آداب الإسلام التي شرعها لحفظ المودات، واتقاء الفرقة تحريم النيمة لأنها ذريعة إلى تكدير الصفو وتغيير القلوب وقد كان النبي يتلى أن يبلغ عن أصحابه ما يسوؤه قال: «لا يبلغن أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئا فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر».

وعلى من سمع شيئا من ذلك ألا يوسع الخرق على الرابع قرب كلمة شر تموت مكانها لو تركت حيث قيلت! ورب كلمة شر سرعت الحروب إن اتسع ذكليا ونفخ فيها فاصبحت شرارة تشتعل بالويلات والخطوب.. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل الجنة نمام» وفي رواية «فَنَمَات». قال العلماء: هما بمعنى واحد، وقيل: النمام الذي يكون مع جماعة يتحدثون فينبط عنهم والفتات الذي يتسمع عليهم من حيث لا يشعرون ثم ينم.

وروي في الحديث: «إن النيمة والحدق في النار لا يجتمعان في قلب مسلم» ومن لوازم الحدق سوء الظن وتبع العورات والنم والتعيب الناس بعاملاتهم أو خصائصهم البدنية والنفسية وقد كره الإسلام ذلك كله كراهية شديدة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من غلم من أخيه سيئة فسترها ستر الله عليه يوم القيامة». وقال: «من ستر على مؤمن عورة فأنما أحيا



قالوا: لا، حسبك، قد أسمعتهم ما يكرهون. وبهذا كان عبد الله بن مسعود أول من جهر بالقرآن بمكة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا غرو أن هذا العمل الذي قام به عبدالله يعتبر تحدياً عملياً لقريش، التي ما كانت لتتحمل مثل هذا الموقف، ويلاحظ جرأة عبدالله عليهم بعد هذه التجربة على الرغم مما أصابه من أذى.

فلما ملوه فجعلوا يقولون: ماذا قال ابن أم عبد؟ قال: ثم قالوا: إنه لم يملو بعض ما جاء به محمد، فقاموا إليه فجعلوا يضرِبونه في وجهه، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ، ثم انصرف إلى أصحابه وقد أنزوا في وجهه، فقالوا له: هذا الذي خشينا عليك، فقال: ما كان أعداء الله أهون علي منهم الآن، ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها،

عبد الله بن مسعود: أتأ، قالوا: إنا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلا له عشرة يمتعون به، ففرع القوم إن أرادوه، قال: دعوني فإن الله سيمعنني. قال: ففدا ابن مسعود حتى أتى المقام في الضحى، وقريش في أندبائها، حتى قام عند المقام ثم قرأ: (بسم الله الرحمن الرحيم) رافعا بها صوته (الرحمن علم القرآن) قال: ثم استقبلها بقرؤها، قال:

في مكة، وإبان الدعوة وشدة وطأة قريش عليها، فلقد وقف على ملهم وجهر بالقرآن، ففرع القوم إن أرادوه، قال: دعوني فإن الله سيمعنني. قال: ففدا ابن مسعود حتى أتى المقام في الضحى، وقريش في أندبائها، حتى قام عند المقام ثم قرأ: (بسم الله الرحمن الرحيم) رافعا بها صوته (الرحمن علم القرآن) قال: ثم استقبلها بقرؤها، قال:

كان منفتح إسلامه كلمتين عظيمتين: الأولى قالها عن نفسه، «إني مؤمن»، والثانية كانت من الصادق المصدوق حيث قال له: «إنك غليم معلم» ولقد كان لهاتين الكلمتين دور عظيم في حياته، وأصبح فيما بعد من أعيان علماء الصحابة -رضوان الله عليهم- ودخل عبدالله في ركب الإيمان، وهو بمختر بخار الشوك في قلعة الأصنام، فكان واحدا من أولئك السابقين الذين مدحهم الله في قرآته العظم. قال عنه ابن حجر: «أحد السابقين الأولين، أسلم قديما،

وهاجر الهجرتين، وشهد بدرا والمشاهد بعدها، ولازم النبي صلى الله عليه وسلم وكان صاحب تعليم». وكان حليفا وليس له عشرة تحمية، ومع أنه كان ضيف الجسم، دقيق الساقين، فإن ذلك لم يحل دون ظهور شجاعته وقوة نفسه، وله مواقف رائدة في ذلك، منها ذلك المشهد المخير

ومن اتسع الشواهد على حقيقة الخلق، وحتمية البعث، وضرورة الحساب، وأن العلوم الكونية كانت ولا تزال الثافة الرئيسة التي تتصل منها الحضارة المعاصرة بالفطرة الربانية، وأن المنهج العلمي ونجاحه في الكشف عن عدد من حقائق هذا الكون متوقف على التساق تلك الفطرة والتصاف سننها بالاطراد والقياس.

الاستحاج بسان العلوم التجريبية - في ظل الحضارة المادية المعاصرة - تنطلق في معظمها من منطقات مادية بحتة، تنكر أو لتجاهل الغيب، ولا تؤمن بالله، وإن لكثيرين من المشغولين بالعلوم الكونية مواقف عدائية واضحة من قضية الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، فمرد ذلك كله بعيد عن طبيعة العلوم الكونية، وإنما يرجع إلى العقائد الفاسدة التي أفرزتها الحضارة المادية المعاصرة، والتي تحاول فرضها على كل استنتاج علمي، وعلى كل رؤية شاملة للكون والحياة في وقت حقق فيه الإنسان فترات هائلة في مجال العلوم الكونية البحتة منها والتطبيقية، بينما تخلف المسلمون في كل أمر من أمور الحياة - بصفة عامة - وفي مجال العلوم والتقنية - بصفة خاصة - مما أدى إلى انتقال القيادة الفكرية في هذه المجالات على وجه الخصوص إلى أعم سبق العلماء فيها أن عانوا معاناة شديدة من تسلط الكنيسة عليهم، واضطهادها لهم، ورفضها للمنهج العلمي ولكل معطياته، ووقوفها حجر عثرة في وجه أي تقدم علمي، كما حدث في أوروبا في أوائل عصر النهضة.

ونقل الحاصل كذلك حتى انتصرت حقائق العلم على خرافات الكنيسة فانتطلق العلماء الغربيون من منطق العداوة للكنيسة أولا ثم لقضية الإيمان بالانبياء، وداروا بالعلوم الكونية ومعطياتها في إطارها المادي فقط، وبرعوا في ذلك براعة محوطة، ولكنهم ضلوا السبيل وتكبدوا حينما حبسوا أنفسهم في إطار المادة وحدها، ولم يتمكنوا من إدراك ما فوقها، وجرعوا أنفسهم من مجرد التفكير فيه، فاصبحت الغالبية العظمى من العلوم تكتم من مفهوم مادي صرف، وانتقلت عدوى ذلك إلى عالمنا المسلم أثناء مرحلة النهث وراء

لرد على حجج الرافضين للمنهج العلمي في التفسير

واجب الأمة إعادة تأصيل المعارف المكتسبة من منطلق إسلامي صحيح

انتصار حقائق العلم على خرافات الكنيسة جعل علماء الغرب يضعون العلوم الكونية في إطارها المادي فقط
تخلف المسلمين في الحياة عامة وفي مجال العلوم والتقنية خاصة أدى إلى انتقال القيادة الفكرية إلى غيرهم